# (مخارج و صفات حروف العربية )

الأستاذ: كمال بخوش

جامعة المدية

مقدمة:

نحاول من خلال هذا الموضوع أن نقف و لو بشكل موجز مختصر عند أهم المباحث اللغويـــــة ، و المتمثلة في المبحث الصوتي ، و ذلك من خلال احد أهم المصادر التي أسست لهذا العلم وأرست دعائمه الأولي،. هذا عند سيبويه من خلال : الكتاب. خاصة ما تعلق بالمصطلح الصوتي و مدلوله المعرفي .مع التركيز علي ما يتعلق بمخارج و صفات حروف العربية .

**1-مخارج حروف العربية :**

مفهوم المخرج:المخرج لغة هو <<محل الخروج >>[1].نقول خرج يخرج خروجا، فهو خارج. قال الجوهري :قد يكون المخرج موضع الخروج[2].

أما سيبويه (ت 180هـــ) فإننا نجده يستعمل مصطلح :الموضع.للدلالة علي مصطلـــــح المخرج ، و ذلك في مواضع عديدة من الكتاب .حيث نجده يقول في معرض حديثه عن الحروف المطبقة :<<... و هذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن (في مواضعهن) إلى ما حاذي الحنك الأعلى ، من اللسان .فإذا وضعت لسانك فالصوت محصـــور فيما بيـــــن اللســـان و الحنك الأعلى إلى موضع الحروف، و أما الدال و الزاي فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن ...>> [3].

و واضح من كلام سيبويه انه استعمل مصطلح <<الموضع>> للدلالة علي مصطلح المخرج، أي مكان التقاء أعضاء النطق عند إنتاج الحرف و لحظة حدوثه .سواء كان ذلك التقاء محكما و تاما ، أو دون ذلك أي تضييق فقط.

و مما يلاحظ عند أبي الفتح عثمان ابن جني (ت 392هـــ) انه استعمل مصطلح <<المقطع>>. يقول :اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا ،حتى يعرض له في الحـــلق و الفـــم و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده و استطالته ....و تختلف أجراس الحروف باختلاف مقاطعها>>[4].

**عدد مخارج حروف العربية :**

لقد اختلف اللغويون القدماء في ضبط عدد مخارج حروف العربية ،و هذا الإختلاف يمكن رصده في ثلاثة أوجه :

– فريق ذهب إلى أنها سبعة عشر مخرجا ، و علي راس هذا الفريق نجد الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175هـ). ومن المتأخرين الذين ذهبوا مذهبه نجد أبا الخير محمد بن محمد الدمشقي ( ابن الجزري ).يقول ابن الجزري:<<...قد اختلفوا في عددها ،فالصحيح المختار عندنا و عند من تقدمنا من المحققين كالخليل بن احمد (...)و غيره سبعة عشر مخرجا[5].

–فريق ذهب إلى أنها ستة عشر مخرجا ، و هو مذهب سيبويه .يقول :<< ...و لحروف العربية ستة عشر مخرجا ...>> [6].و قد تبعه في هذا جل اللغويون الذين أتوا بعده ،وعلى رأسهم العلامة أبو الفتح عثمان ابن جني،و ابن يعيش و ذلك بإسقاطهم لمخرج الجوف و هو المخرج السابع عشر عند الخليل.

–أما الفريق الثالث فقد عدها أربعة عشر مخرجا << و ذهب إلى هذا علماء القراءات و التجويد ، منهم قطرب و الجرمي و الفراء >>[7].

و لعل الاختلاف في تحديد عدد مخارج حروف العربية ، يرجع إلى تباين في الملاحظة الحسية عند كل من هؤلاء ، ذلك أن الجهاز الصوتي عند الإنسان مستقر علي طبيعته ،كما أن الأصوات اللغوية ثابتة و مستقرة علي طبيعتها الصوتية إلى حد بعيد ،في نفس البيئة الزمانية و المكانية ، و ذلك نظرا لاستعمال الملاحظة الحسية في هذه الدراسة ،فانه يمكن إرجاع هذه الاختلافات إلى اختلافات في دقة الملاحظة الحسية و عمقها بين هؤلاء ليس أكثر.

**عدد حروف العربية :**

لقد عدد سيبويه حروف العربية إلى حروف أصول ، و أخرى فروع .فأما الحروف الأصول عنده فهي :<< الهمزة ، و الإلف ، و الهاء ، و العين ، و الحاء ، و الغين ، و الخاء ، و الكاف ، و القاف ، و الضاد ،و الجيم ، و الشين ، و الياء ، و اللام ، و الراء ، و النون ، و الطاء ، و الدال ، و التاء ، و الصاد ، و الزاي ، و السين ، و الظاء ، و الذال ، و الثاء ، و الفاء ، و الباء ، و الميم ،و الواو>> [8]. وهي تسعة و عشرون حرفا .

و تتفرع عن هذه الحروف الأصول أخرى فروع منها << ما يؤخذ بها و تستحسن في قراءة القران و الأشعار، و هي : النون الخفيفة و الهمزة التي بين– بين ، و الألف التي تمال إمالة شديدة ، و الشين التي كالجيم ، و الصاد التي تكون كالزاي ، و ألف التفخيم >>[9]. و << منها غير المستحسنة و لا تكون كثيرة في لغة من ترتضي عربيته ، و لا تستحسن في قراءة القران و لا الشعر و هي : الكاف التي بين الجيم و الكاف ، و الجيم التي كالشين و الضاد الضعيفة ، و الصاد التي كالسين ، و الطاء التي كالتاء ، و الظاء التي كالثاء ، و الباء التي كالفاء >>[10]. و منه فحروف العربية عند سيبويه تنقسم إلى قسمين : حروف أصول و عددها تسعة و عشرون حرفا ، و حروف فروع مستحسنة و عددها ستة أحرف و أخرى فروع غير مستحسنة و عددها سبعة أحرف .

**مخارج حروف العربية** : لقد حدد سيبويه مخارج حروف العربية على النحو الآتي:[11]

1- أقصى الحلق: الهمزة، الهاء، الألف.

2- وسط الحلق:العين و الحاء.

3- أدنى الحلق: الغين و الخاء.

4- من أقصى اللسان و ما فوقه من الحنك الأعلى : القاف.

5- أسفل موضع القاف من اللسان قليلا و ما يليه من الحنك الأعلى:الكاف.

6- وسط اللسان بينه و بين ما يليه من الحنك الأعلى:الجيم، الشين، الياء.

7- من بين أول حافة اللسان و ما يليه من الأضراس: الضاد.

8- من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، و ما بينها و بين ما يليها من الحنك الأعلى، و ما فوق الثنايا : اللام.

9- من طرف اللسان بينه و بين ما فوق الثنايا: النون.

10- من مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام: الراء.

11- بين طرف اللسان و أصول الثنايا: الطاء ، الدال، التاء.

12- مما بين طرف اللسان و فوق الثنايا: الزاي ، الصاد، السين.

13- مما بين طرف اللسان و أطراف الثنايا:الظاء و الذال و الثاء.

14- من باطن الشفة السفلى و أطراف الثنايا العليا: الفاء.

15- بين الشفتين : الباء ، الميم ، الواو.

16- من الخياشيم: و يضم مخرجا واحدا ينتج حرفا واحدا : النون الخفيفة.

و قد وافق ابن جني سيبويه في هذا، و ذهب إلى أن ترتيب خليل بن أحمد الفراهيدي:<<فيه خطل و اضطراب >>[12]. و مما يمكن ملاحظته من تقسيم سيبويه هو :

أ- أن عدد مخارج حروف العربية ستة عشر مخرجا، تنتج تسعة و عشرين حرفا. أي أن هناك مخارج تنتج أكثر من حرف.

ب- نلاحظ أن كل المخارج إما أحادية أو ثنائية أو ثلاثية ( أي أن كل مخرج ينتج حرفا أو حرفين أو ثلاثة)، و بعملية حسابية بسيطة نجد أن هناك ستة مخارج ثلاثية، و مخرجين ثنائيين و ثمانية مخارج أحادية.

ج- إن سيبويه يفرد ( للنون الخفيفة ) مخرجا خاصا بها ، في حين لا يعدها من الحروف الأصول.

**2- صفات حروف العربية:**

مفهوم الصفة: << الوصف: المصدر. و الصفة الحلية (...) و اتصف الشيء: أمكن وصفه>>[13] و صفة الحرف:<<هي كل ما من شأنه أن يعطي لونا خاصا أو جرسا ما للحرف>>[14].أو هي كيفية تولد الحرف و خروجه من مخرجه ، و تحدد الصفة بالنظر إلى : النفس، تجاويف الجهاز الصوتي، الأوتار الصوتية ، حركة اللسان .

و قد ذكر سيبويه صفات كثيرة لأصوات العربية، يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

- صفات عامة هي:الجهر- الهمس، الشدة – الرخاوة – التوسط.

- صفـــات خاصة تتميز بها مجموعات خاصـــة من الأصـــوات هي: الإطباق، المد و الليـــن، التفشي و الاستطالة، الصفير، الغنة.

- صفات خاصة تتميز بها أصوات مفردة هي: الانحراف، التكرار[15] .

**1- الصفات العامة:**

1-أ- الجهر: قال سيبويـــه :<< فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه و منع النفس أن يجري معه ، حتى ينقضي الاعتماد عليه ، و يجري الصوت>>[16].و الحروف المجهورة عنده تسعة عشر حرفا و هي :<< الهمزة، الألف، العين، الغين، القاف، الجيم، الياء، الضاد، اللام، النون، الراء، الطاء، الذال، الزاي، الظاء، الدال، الباء، الميم، الواو>>[17].

و من خلال تأملن في تعريف الجهر الذي قدمه سيبويه ، نلاحظ أنه يقرنه بحالتين أساسيتين هما : إشباع الاعتماد، و منع النفس من الجريان . فما معنى إشباع الاعتماد؟ و ما معنى منع النفس من الجريان؟ و ما علاقة الإشباع بالمنع؟.

إن إشباع الاعتماد هنا هو العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت. فهو يكون عند إنتاج صفة الجهر للصوت و ليس عند إنتاج الحرف.و لقد تطرق اللغويون المحدثون إلى هذه الظاهرة قائلين بأنها ناتجة عن اهتزاز الأوتار الصوتية، فقد يتحرك الوتران الصوتيان عند مرور الهواء بهما في صورة ذبذبة فينتج الصوت المجهور، و قد لا يتحرك الوترام فينتج الصوت المهموس[18].

إذن من خلال ما سبق و بمنظور فيزيائي، نرى أن الجهر يحدث كالآتي: يؤدي اقتراب الوترين الصوتيين إلى سد مجرى الهواء المندفع من الرئتين، حتى يكاد يكون ذلك بشكل تام ( منع النفس من الجريان) و من هنا يبدأ الضغط في الداخل بالارتفاع حتى إذا وصل إلى درجة معينة، اندفع الهواء المحتبس بقوة إلى الخارج، محاولا تعديل الضغط بين طرفي الوترين الصوتيين وفقا لقانون الطبيعة العام( الضغط الداخلي > الضغط الخارجي) . فيتسرب الهواء بين الوترين ضاغطا عليهما ليحركهما (فيجري الصوت) . فإذا تم الاعتماد صار النفس يجري على طبيعته.

فعملية الجهر تحدث وفق المراحل الآتية:

1- إشباع الاعتماد في الحنجرة ( و الذي يؤدي إلى حدوث المرحلة الثانية).

2- منع النفس من الجريان (و الذي يؤدي إلى حدوث المرحلة الثالثة).

3- جريان الصوت ، أي نشاط الأوتار الصوتية الذي يسمح في النهاية للنفس بالانطلاق.

1-ب- الهمس: قال سيبويه:<< أما المهموس ، فحرف أضعف الاعتماد في موضعه ، حتى جرى النفس معه ، و أنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس، و لو أردت

ذلك في المجهورة لم تقدر عليه[19] ، و الحروف المهموسة عند سيبويه عشرة: << الهاء، الحاء، الخاء، الكاف، الشين، السين، التاء، الصاد، الثاء، الفاء>>[20].

و ضعف الاعتماد ناتج عن تباعد الوترين الصوتيين مما يؤدي إلى احتكاك ضعيف بينهما و بين الهواء المندفع من الرئتين، إلى درجة أن سهولة انسياب الهواء تقارب بشكل كبير سهولتها في حالة التنفس العادي.

فالهمس يحدث وفق المراحل الآتية:

1- ضعف الاعتماد.
2- جريان النفس على طبيعتها. } **يحدث هذا في نفس الوقت**

1-ج- الشدة: قال سيبويه: << و من الحروف ( الشديـــد) و هو الذي يمنع الصوت أن يجـــري فيه و هو :الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، التاءن الدال، الباء>>[21]. فلو قلت :<< الحقّ، الشّطّ، ثم رمت مد صوتك في القاف و الطاء لكان ذلك ممتنعا>>[22]. فالأصوات الشديدة أصوات وقتية آنية ، لا يمكن التغني بها و ترديدها لأنها تنتهي بمجرد زوال العائق و خروج الصوت[23].

و مما يمكن ملاحظته هو أن هناك تشابه كبير بين الآليات العضوية التي تؤدي إلى حدوث الجهر و التي تؤدي إلى حدوث الشدة ، فكلاهما قائم على مبدأ الحبس أو المنع نتيجة قوة الاعتماد في الموضع. فالجهر يساوي حبس الهواء( مستوى الحنجرة)، و الشدة تساوي حبس الصوت(في مستويات مختلفة من الجهاز الصوتي).

1-د- الرخاوة: قال سيبويه:<< و منها الرخوة و هي الهاء، الحاء، الغين، الخاء، الشين، الصاد، الضاد، الزاي، السين، الظاء، الثاء، الذال، الفاء. ذلك إذا قلت : الطس، و أنقض، و أشبه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت>>[24].فالرخاوة تنتج وفق نفس المبدأ العضوي الذي تنتج وفقه صفة الهمس، فإذا كانت هذه الأخيرة قائمة على مبدأ جريان الهواء فإن صفة الرخاوة قائمة على مبدأ جريان الصوت.

و مما ينبغي أن نشير إليه في هذا المقام هو ذهاب بعض الدارسين المحدثين إلى أن حرف الضاد يعتبر حرفا شديدا على اعتبار أن نطقه قد تطور من الرخاوة إلى الشدة، و أنه لا يوجد اليوم حرف الضاد مطابقا لحرف الضاد القديمة[25].

1-هـــ- التوسط: صفة التوسط هي صفة بين الشدة و الرخاوة، حيث يتم منع الهواء منعا جزئيا لا كليا. و قد أدرك سيبويه هذه الصفة في حرف واحد و هو العين، يقـــول:<< فأما العيـــن فبين الرخـــوة و الشديدة>>[26]. أما ابن جني فذهب إلى أن صفة التوسط لا تقتصر على حرف العين فقط بل تشمل ثمانية حروف و هي:الألف، العين، الياء، اللام، النون، الراء، الميم، الواو[27].

2- الصفات الخاصة:

2-1-صفات تخص مجموعات صوتية فقط:

2-1-أ- الإطباق و الانفتاح: قال سيبويه:<< فأما المطبقة فالصاد و الضاد و الطاء و الظاء(...)

و هذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن ، انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى >>[28] .

و الإطباق هو ارتفاع ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى حتى يكاد ينطبق عليه انطباقا تاما ، مما يجعل الصوت محصورا بين اللسان و الحنك الأعلى و هو ما يزيد في قوته. لذلك فإن سيبويه عد الإطباق صفة قوة في الصوت تميزه عن غيره من الأصوات المنفتحة[29]. و الحروف المطبقة تسمع لها أصوات مفخمة و التي تتميز بأنها غليظة و ثقيلة مقارنة بالأصوات المنفتحة[30].

أما الانفتاح فهو عكس الإطباق تماما. و الحروف المنفتحة هي كل حروف العربية الأصول ما عدا المطبقة منها.<< لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ، ترفعه إلى الحنك الأعلى>>[31].

2-1-ب- الاستعلاء و الاستفال: و هما صفتان متناقضتان. و الحروف المستعلية سبعة و هي: الخاء و الغين و القاف و الظاء و الطاء و الصاد و الضاد[32]. و ما سواها مستفل .ومعنى الاستعلاء هو أن يستعلي اللسان عند التلفظ بهذه الحروف إلى مؤخرة تجويف الفم، أي ينحو نحو الحلق. أما اللسان فإنه في حروف الاستفال يستفل نحو الحنك الأسفل[33].

2-1-ج-الصفير: ينتج عن ضيق شديد في المخرج، يؤدي إلى ارتفاع شدة الصوت الناتج عن قوة الاحتكاك. و الحروف الصفيرية هي :الصاد و الزاي و السين. قال سيبويه:<< و هن أندى للسمع>> و لعله يقصد بقوله: أندى، شدة وضوحهن في السمع . فالصفير على هذا صفة قوة في الصوت تميزه عن غيره من الأصوات[34].

2-1-د-الاستطالة و التفشي: معنى الاستطالة أن الصوت يشغل من اللسان مساحة كبيرة، تصل مخرجه بمخرج صوت آخر يجاوره. و هو المعنى الذي تؤديه كلمة التفشي[35]. و يمتاز بهذه الصفة حرفان هما: الضاد و الشين . ذلك لأن هواء النفس معهما لا يقتصر في تسربه إلى الخارج على مخرجهما، أي من الفراغ الذي بين العضوين المتصلين في حالة النطق بهما. بل يتوزع على كامل جنبات الفم[36].

2-1-هـ- اللين: و يتميز بهذه الصفة حرفان هما : الواو و الياء، نظرا لاتساع مخرجيهما. يقول سيبويه:<< ... مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما ...>> [37].

**2-2- صفات تخص أصوات مفردة:**

2-2-أ- الانحراف: يعرف سيبويه المنحرف بقوله:<<...هو حرف شديد جرى فيه الصوت، لانحراف اللسان مع الصوت، و لم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام...>> [38].

2-2-ب- التكرار: تخص هذه الصفة حرفا واحدا هو: الراء.<< فالراء حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره و انحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخاوة و لو لم يكرر لم يجر فيه الصوت>>[39].

و << إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر>>[40].و ينتج التكرار عند إحداث انسداد كامل في مخرج الحرف لكنه قصير الزمن يتلوه انفتاح فانسداد...و هكذا.

2-2-ج- الهاوي: يتميز بهذه الصفة حرف واحد و هو الألف. و تحدد هذه الصفة بالنظر إلى اتساع المخرج. يقول سيبويه: << فهو حرف اتسع لهـواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخـــــرج الياء و الواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو و ترفع في الياء لسانك قبل الحنك>>[41]. أما معه فإن الشفتين تكونان منفتحتين انفتاحا كليا.

**الهوامـــــش:**

1-مصطفي اكرور،حلية التلاوة،دار نجيب ، الابيار ،ص.42

2-ابن منظور ، لسان العرب ،ج4 ص.52

3-سيبويه ، الكتاب ،ج4ص.436

4-ابن جني ، سر صناعة الإعراب ،ج1 ص.06

5-ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ،ج1 ص.214

6- سيبويه ، الكتاب ،ج4 ص.433

7-ابن الجزري،النشر في القراءات العشر ،ج1ص.199

8-سيبويه ، الكتاب ،ج4 ص.431

9-سيبويه ،نفس المرجع ،ج4ص.432

10-نفس المرجع.

11-سيبويه، نفس المرجع،ج4 ص433/.434

12-ابن جني ، سر الصناعة ،ج1ص.45

13-ابن منظور ، لسان العرب،ج15ص315/.316

14-عبد القادر حديدي ،البنية الصوتية للكلمة العربية ،ص.18

15-عبد الصبور شاهين ،اثر القراءات في الأصوات و النحو العربي،ص.199

16-سيبويه ، الكتاب ،ج4ص.434

17-نفس المرجع .

18-عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية ،ص.27

19-سيبويه ، الكتاب ، ج4 ص.434

20-نفس المرجع.

21-نفس المرجع .

22-ابن جني ، سر الصناعة ،ج1ص.61

23-رمضان عبد التواب،المدخل الي علم اللغة و مناهج البحث اللغوي،ص.68

24-سيبويه،الكتاب ،ج4 ص.435

25-إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية ،ص.24

26-سيبويه ، الكتاب ،ج4ص.435

27-ابن جني ، المرجع السابق ،ج1ص.61

28-سيبويه ،الكتاب ،ج4ص.436

29-عبد الصابور شاهين ،اثر القراءات في الأصوات و النحو العربي ،ص.208

30-خوله طالب الإبراهيمي ،مبادئ في اللسانيات ،ص.59

31-سيبويه ،ج4ص.436

32-سر صناعة الإعراب ،ج1 ص.62

33-صبحي صالح ،دراسات في فقه اللغة ،ص.282

34-عبد الصبور شاهين ،اثر القراءات في الأصوات و النحو العربي ،ص208/.209

35-نفس المرجع.

36-إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ،ص.120

37-سيبويه ، الكتاب ،ج4ص.435

38-نفس المرجع.

39-نفس المرجع.

40-ابن جني ،سر صناعة الإعراب ،ج1ص.63

41-سيبويه ، الكتاب ،ج4ص435.

مراجع و مصادر البحث:

1-سيبويه ، الكتاب ، تحقيق : محمد عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي مصر ، .1982

2-ابو الفتح عثمان بن جني ،سر صناعة الإعراب ،تحقيق حسن الهنداوي ،دار القلم ، سوريا ،.1985
3-ابن الجزري ،النشر في القراءات العشر ،المكتبة التجارية الكبرى ،مصر ،دون تاريخ طبع ،
4-رمضان عبد التواب ،المدخل إلي علم اللغة و مناهج البث اللغوي ،مصر ،.1985
5-عبد الصبور شاهين ،اثر القراءات في الأصوات و النحو العربي ،مطبعة المدني ،مصر ، .1987
6-إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ،المكتبة الانجلو مصرية ،مصر ، .1995
7- خوله طالب الابرهيمي ،مبادئ في اللسانيات ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ، .2000
8-مصطفي اكرور ،حلية التلاوة ،دار نجيب الابيار ،الجزائر ،.1994
9- ابن منظور ن لسان العرب ،دار إحياء التراث العربي ،ط3 ،بيروت .